ان نبحث عن تاريخ الطباعة في ديار العراق التي هي من صميم البلاد العربية وعلى ذلك نبتدئ اولاً بتاريخ الطباعة في بغداد لانها قاعدة العراق وقلبه الحقيقي

ابراهيم حلمي

﴿ افكار الغربيين نحونا ﴾

Une autre Mecque

لاينكر احد من الذين نور الله بصائرهم بنور الهدى ان للغربيين على الشرقيين يداً بيضاء لاتقوم بشكرها الالسن. كيف لا ونرى الشرقي المدرب متى حاول كتابة شيء عن الشرق وابنائه بل عن قطره نفسه لايقدر ان يفي الموضوع حقه بدون ان يراجع الكتب التي كتبها الافرنج في موضوعه ويشرف عليه أتم الاشراف.

والسبب الذي يجعل الشرقي مفتقراً الى الغربي هو ماتعوده من المبالغة في اكثر الاشياء التي يكتب عنها حتى ان المبالغة فيها ربما جاءت اضعاف الاضعاف. اوهو خلوه من استقصاء الاخبار، وتمام مايتعلق بها.

وبما ان الغربيين قد جبلوا على نبذ المبالغة. وعلى تحري الحقائق مع البحث والتنقيب عنها بكل سعة وتفرغ. تراهم ينكبون لها مشاق يقف دونها الهمام المقدام عاجزاً. بل تراهم غير هيابين ولا مبالين بصرف المصاريف الباهظة والمخاطرة بنفوسهم ونفائسهم. وهم مع كل ذلك لايألون جهداً في السعي وراء ضالتهم المنشودة.

هذا ومع حرصهم على تدوين الحقائق تراهم يخطئون في بعض ما يكتبون خطأ

بيناً خصوصاً في كتاباتهم التي تختص بالمذاهب والاديان. وقد يعذرهم المنصف العارف بعوائد الشرقيين واخلاقهم لان ثمة سراً لا يقدر ان يطلع عليه غير الشرقي نفسه وسببه جهله الفاشي بين اظهر اصحابه فشواً فاحشاً سيما العراقيين منهم.

فالعراقيون يخلطون الواجب بالمستحب، والحلال بالحرام، والاصل بالفرع، والفرع بالبدعة، والبدعة بالعادة، والعادة بالخرافة، ويعتبرون الجميع من اصل واحد. وينسبونها كلها الى صدر الاسلام. وربما يعزونها الى النبي «صلعم» او الى صحابته الكرام «رض» بلا سند ولا دليل. واذا اعترض عليهم معترض كفروه في الحال ونسبوه الى الزندقة والالحاد. والاسلام براء مما يزعمون.

اذا سأل الغربي الذي لا يعرف من الشرقيين الا صورهم واسماءهم وازياءهم سؤالاً يوجهه الى العراقي ليستخبره عن عمل رآه يعمله او يقوم بواجب: هل هذا من اصل الدين او فرعه او بدعة ابتدعها احد المسلمين او عادة تعودها العراقيون من القديم. فلا يجيبه الا بعكس ما سأله وغير ماقصده ظناً منه انه اذا اوهمه بالجواب واضله بالكلام. لا يحصل ذاك على نتيجة منه فيرجع حينئذٍ بخفي حنين. وذلك لاعتقاد بعض الجامدين حرمة كشف استار الدين للرجل الذي ليس من المسلمين. او تعصباً منه لفرقته حتى على الفرقة التي تناوئها من فرق المسلمين انفسهم. او حذراً من الانتقاد او وقوعاً لسوء تفاهم بين السائل والمسؤول.

فاذا سمع الغربي هذا الجواب، دونه في ديوان رحلته وجعله غاية سؤله. واخذ بعدئذٍ بتعليق حواشٍ وتفاسير عليه. ظناً منه انه لم يرو له الا الصحيح.

لما تعوده من صدق اللهجة وحرية الضمير في ابناء قومه ولم يدر « شتان بين مشرق ومغرب »

والذي حداني على كتابة هذه الاسطر هو ما كتبته مجلة الالستراسيون الباريسية من مقالة تحت عنوان « مكة الثانية » على رواية رجل غربي اقام في كربلاء مدة . ولما كان الكاتب والراوي قد اخطأا فيما كتبا في عدة مواضع من المقالة نفسها، احببت نشرها لاعلق عليها بعض الحواشي ايضاحاً لما التبس عليهما واصلاحاً لخطإهما . لان المقالة تمس الفرقة التي انا منها ولان اهل مكة ادرى بشعابها . واليك المقالة برمتها معربة بقلم صاحب المجلة . قال الكاتب :

لقد استفاض بين الناس ان دين محمد لا يميل بمومنيه الى آراء الحرية ومع ذلك نرى مسلمين كثيرين، ومن اشدهم تمسكا بدينهم يخالطون الكفار ويصادقونهم، وربما اتصلت قلوبهم بقلوب خلطائهم اتصالاً لا شبهة فيه . ولقد اثبتت حوادث بلاد الدولة العثمانية الحديثة ان ايمان المسلمين اومعتقدهم ليس من العقبات الكؤودة التي تحول دون التقدم والرقي وقبول بعض الآراء الحديثة . وكما ان للفضيلة درجات فللتعصب ايضاً طبقات ومهما يكن من هذا الامر فان وجد بعض المسلمين يوجهون حسن التفاتهم الى النصارى، ولا يظهرون اشمئزازهم من اليهود فاعلم يقيناً ان اولئك المحمديين هم سنيون . فتقواهم السمحة، وحسن ملاطفتهم لمن كانوا على غير دينهم، والانس بمن جاورهم وخادنهم، يقابله عند الشيعة التعصب الشديد الذي ليس وراءه تعصب .

ويرتقي اصل هذه الفرقة الى الحسين«١»الابن الثاني لعلي بن ابي طالب، صهر محمد،والى واقعة محزنة دموية وقعت سنة ٦١ من الهجرة ٦٨٠ للميلاد، في العراق العربي اي في ديار بابل القديمة .

بعد وفاة علي بن ابي طالب ثارت مباحثات شديدة،واحتدمت نيرانها بين خليفة المسلمين، رئيس السلطة الزمنية،«٢»وبين الائمة العلويين الذين كانوا يقولون انه يحق لهم تدبير كل امر في ما يتعلق بالدينيات«٣»فلما انتقلت الامامة الى

(١) يرتقي اصل الشيعة الى عهد رسول الله . قال الخنساري في روضات الجنات ص٨٨ طبع ايران في ترجمة ابن خلكان : « ... وفي تعريفات العلوم ان الشيعة هم الذين شايعوا عليا وقالوا انه امام بعد رسول الله ... وفي كنز اللغة ان الشيعة العدلية غير السنة ... وكان يختص بهذه التسمية اولا سلمان الفارسي وابوذر الغفاري ومقداد بن الاسود وعمار بن ياسر في عهد رسول الله لملازمتهم خدمة امير المؤمنين (يعني علياً) ... ثم توسع في لقب من كان يحذو حذوهم في ذلك بها بعد . بل من كان يوالي عليا ويقول بخلافته للرسول بلافصل وان لم يقل بالائمة الاثنى عشر جميعاً فيكون حينئذ امامياً ايضا او داخلاً في جملة الاثنى عشرية الخاصة من الشيعة »اه ونقل نحو هذا الكلام ابو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ في الجزء الثالث من كتاب الزينة في باب تفسير الالفاظ المتداولة بين ارباب العلوم . وابن النديم في الفهرست ١٧٥

(٢) هو يزيد بن معاوية بن ابي سفيان .

(٣) ليس في الدينيات فقط بل في تدبير كل امور البشر ومما يعتقده الشيعة انفسهم انه لو اخليت الارض من واحد من الائمة الاثنى عشر الذين هم من ولد علي وفاطمة لما دامت الدنيا طرفة عين . وهؤلاء الائمة هم (علي بن ابي طالب فابنه الحسن السبط) فابنه الثاني الحسين (الشهيد) فابنه علي بن الحسين (زين العابدين او السجاد) فابنه محمد بن علي (الباقر) فابنه جعفر بن محمد (الصادق) فابنه موسى بن جعفر (الكاظم) فابنه علي بن موسى (الرضا) فابنه محمد بن علي (الجواد) فابنه علي بن محمد (الهادي) فابنه الحسن بن علي (العسكري) فابنه محمد بن الحسن (صاحب الزمان) عليهم السلام .

ولهذا يعتقد الشيعة بوجود صاحب الزمان حيا وبانه يراعي امور البشر واحكام الدين حتى لو زال من الدنيا لقامت الساعة وهو سوف يظهر للعيان ولو بعد حين ويحكم في الناس ويوحد الاديان ويرفع الظلم من الارض . والسنة والشيعة احاديث كثيرة في علامات ظهوره .

الحسين، واصبح راس العلويين، مهجر المدينة طالباً الكوفة تخلصاً من قبضة الخليفة. وكانت الكوفة يومئذٍ حاضرة العراق العربي وأمه، وفيها من محبي العلويين جماعة دعته اليها. وبينما كان يسير في طريقه اذ بجبل حزبه انتكث. وذلك انه بعث مسلم بن عقيل ابن عمه بمنزلة رئيس للكوفيين واذا بجمع غدروه وقتلوه. وفي ٣ من الشهر المحرم وصل الامام الى كربلاء ولم يكن يعرف ماوقع من الخيانة والغدر بمسلم فخيم مع قافلته على شط هناك وما كاد يستقر الا وفاجأه جيش زحف ليهجم عليه. فقاسى العلويون مدة اسبوع من العذابات مالا يصفه واصف ولا سيما الجوع والعطش وفي اليوم العاشر من الشهر المذكور وهو يوم عاشوراء قتل من تلك الزمرة كل من لم يمت في تلك المدة وكان عدد المتوفين جملةً ١٨ شخصاً من اهل البيت و ٧٢ ممن كانوا برفقته. واما النساء فاخذن الى دمشق الشام.

وبعد وفاة هؤلاء المظلومين، نبت في تلك الصحراء ازهار روايات واحاديث مختلفة سقتها دماء الشهداء. وغدت مذبحة كربلاء «ومعنى كربلاء محل الحب «كذا» مرادفة للمحرقة الصادقة في اغة جميع محبي هؤلاء الشهداء. واصبح الحسين نوعاً من المسيح، وقد ذبح افداء الناس في الزمن الذي الى فيه لينقل اليهم كلام الحياة.

ومن الاحاديث المروية عند الشيعة ان جبريل اخبر محمداً ومحمداً انبأ فاطمة الزهراء ابنته بان الامر ينتهي باحد ابنائها على هذا الوجه وبان قبره يشتهر كل الشهرة في الدنيا كلها. وتبنى حوله مدينة تكون بعيدة السمعة. ولقد تم الامر طبقاً للنبوة.

فان احد الصحابة واسمه جابر «٤» جاء بعد ٤٠ يوماً من وقوع تلك المذبحة الهائلة ليكرم قبر الامام الشهيد . لان محمداً كان قد قال له : « ان الحسين يقتل ويدفن في كربلاء ويعد ٤٠ يوماً تبدأ زيارة قبره . فكانت زيارة جابر اول زيارة «٥» لهذه التربة . ومنذ ذلك الحين بدأ تاريخ تأسيس كربلاء . «٦»

---

(٤) هو جابر بن عبد الله الانصاري .

(٥) وهي اليوم تسمى بزيارة الاربعين . والبعض يسميها بزيارة مرد الرأس وذلك لان في اليوم الذي زار جابر قبر الحسين كان عود رأس الحسين من الشام بصحبة علي ابنه واهل بيته الذين اخذوا اسرى الى الشام . وكان مرد الراس الى البدن في ذلك اليوم . فسميت ايضاً بزيارة مرد الرأس كما سميت بزيارة الاربعين .

ولهذا اليوم خطبة او زيارة مخصوصة بالحسين تقرأ عند قبره او عند مشاهد الائمة الاثني عشر او الامكنة المقدسة اولها : « السلام عليكم يا آل الله الخ » ويتصل سند هذه الخطبة او الزيارة بجابر وبجعفر بن محمد الصادق ايضا . راجع مفتاح الجنان في الزيارات والادعية ص ٣٩٨ — ٤٠٢ طبع بمبي .

(٦) يرتقي تأسيس كربلاء او قبر الحسين الى ايام قتل الحسين . قال جعفر بن قولويه في كتابه كامل الزيارة وهو غير مطبوع من حديث طويل ما نصه : « ... ان الذين دفنوه اقاموا رسماً لقبره (يعني الحسين) ونصبوا له علماً [اي علامة] وبناء لا يدرس اثره » وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور عن ابي حمزة الثمالي (المتوفى في عهد المنصور) عن ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق ما نصه : « ... فاذا اتيت الباب الذي يلي الشرق فقف على الباب وقل ... ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء الخ » اه وقد ذكر نحو هذا المعنى المجلسي في المجلد ٢٢ من البحار ٨٠ — ١٠٢ طبع ايران « والسيد ابن طاووس في اقبال الاعمال صفحة ٣٨ طبع ايران وغيرهما. فمن هذا يظهر ان له باباً شرقياً وغربياً. وقال محمد بن ابي طالب في كتابه تسلية المجالس وزينة المجالس [وهو غير مطبوع] عند ذكره لشهد الحسين ع ما نصه : « ... وكان قد بني عليه مسجد ولم يزل كذلك بعد بني امية وفي زمن بني العباس الاعلى زمن الرشيد فانه خربه وقطع السدرة وكرب موضع القبر ثم اعيد على زمن المأمون وغيره الى ان حكم المتوكل من بني العباس ... فامر بتخريب قبر الحسين وقبور اصحابه وكرب مواضعها واجرى الماء عليها ... الى ان قتل المتوكل وقام بالامر بعده ابنه المنتصر فعطف على آل ابي طالب ... واعاد القبور في ايامه » اه اما بناء الدور حوله فقد كان قبل ايام المتوكل . راجع تاريخ ابن الاثير : سنة ٢٣٦ جزء ٧ صفحة ١٨ طبع مصر

اما اليوم فان هذه المدينة اصبحت مقدس الشيعة ومحجهم بل مكتهم الثانية«٧»وهم يحمونها عن غير المسلمين اكثر مما يحمون مكة عنهم، ويدافعون عن حرمها اكثر مما يدافعون عن حرم مكة. وان كان في مكة الكعبة وفي الكعبة الحجر الاسود .

ولقد بقيت كربلآء بعيدة عن كل انتهاك. واننا لنظن ان أحسن ما كتب في كربلآء من المقالات هو ما أدرج في جريدة الطان «الفرنسوية» في نحو اواخر سنة ١٩٠٧ واوائل سنة ١٩٠٨ ولم يسبقها سابق قبل ذلك العهد في تلك اللغة . بل ولم يكتب عن الارجآء المجاورة لها قبل ذلك الاوان

اما مكاتبنا الفاضل المختفي عنا باسم « المنصور » المستعار، فانه دخل حرم كربلآء وقد توصلنا بواسطته الى نشر رسوم داخل الصحن وكل ما يتعلق به ورسوم سائر مساجد مدينة كربلآء مع صور الزوار والمواكب الحافلة التي رآها ، كما فعل سابقاً فننشر في عدد ٧ ت ٢ من مجلتنا رسوم قلب مكة وما فيها. المقالة مصورة في الاصل .

* * *

كربلآء جالسة تحت ظل النخل الوارف، بل راكبة الحسينية نهر متفرع من الفرات، ذلك الفرات الذي كانت قد نصبت عليه بابل، عرشها الزائل وقبل ان تصل المدينة ترى عن بعد من فوق رؤوس النخل والغرب

والفدآء جزء ٢ صفحة ٣٨ طبع مصر . وفوات الوفيات صفحة ١٠٤ وامالي الطوسي صفحة ٢٠٣ — ٢٠٩ طبع ايران .

(٧) ليس في الشيعة من يعتقد ان زيارة كربلاء فريضة كالحج كلا ولا يحمون حرم كربلاء عن غير المسلمين اكثر من حمايتهم لحرم مكة وكيف يكون كذلك وكربلاء ليست من المساجد الاربعة (وهي مسجد مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس ، والكوفة) التي تتضاعف فيها الصلوة الى الف الف ضعف والى عشرة الاف ضعف والى الف ضعف .

والصفصاف وسائر الاشجار قبب صحنيها القاشانية «٨» الآجر المثلثة في الشمس ، ومآذنها المغشاة بغلالة من الذهب الابريز وهذان الصحنان هما صحنا الامام الحسين والامام العباس اخ الحسين من أبيه وأحد اصحابه المنكوبين. وكل من هذين الصحنين قائم في الموطن الذي قتل فيه صاحب الامام الشهيد وخص به .

في كل سنة ينسل الى هاتين التربتين من كل حدب وصوب زرافات زرافات من ابناء الشيعة قادمين اليهما من ديار العجم والهند وكوه قاف «قفقاز» والبلاد القاصية من قلب اسية حيث يكثر الشيعيون. وكربلاء بدون الزوار مدينة فارغة، بل لو لا الزوار لما بقيت هذه المدينة الى يومنا هذا. وفي الايام التي لا يفد اليها الزوار — والزيارة تدوم سحابة السنة تقريبا وتبطل «٩» شيئاً في ايام الباحوراء فقط — ترى كربلاء خامدة ليس فيها الا ١٥٠٠٠ «١٠» نسمة في الاكثر. وقد اخذهم النعاس فوق سطوحهم المتظللة بالنخل.

(٨) قبب حرميها لا صحنيها لان الصحن مكشوف ليس له سقف . وقبة حرم الحسين مغشاة من اسفلها الى اعلاها بالذهب وفي محيطها من الاسفل ١٢ شباكا عرض كل شباك متر واحد من الداخل ومتر و٣٠ سنتيمتراً من الخارج وبين شباك وشباك متر و٢٥ سنتيمتراً من الداخل ومتر ونصف متر من الخارج ويبلغ ارتفاع القبة من اسفلها (اي من سطح الحرم) الى اعلاها قرابة ١٥ متراً وكانت تغشيتها بالذهب على نفقة ناصر الدين شاه وذلك سنة ١٢٧٣ — ١٨٥٦ كما هو مكتوب على حائطها فوق الشبابيك المذكورة بسطر من ذهب فيه بعض الآيات .

(٩) لا تبطل الزيارة ايام الباحوراء ولا يثنى الناس عنها وخصوصاً الاقربين حر ولا برد واشهر الزيارات المخصوصة اشهر قريبة فربما اتفقت الزيارة في حمارة القيظ او في صبارة الشتاء .

(١٠) الاحصاء الذي ذكره اقل من الحقيقة بكثير فان سكان كربلاء انفسهم خمسون الف نسمة على الاقل فكربلاء بدون الزوار ليست مدينة فارغة بل متموجة بالسكان ولكن يشتد الزحام فيها ايام الزيارات وربما ضمت في تلك الايام مائتي الف نسمة من اخلاط الناس .

واذا اردت ان تعرف تقى الشيعة على مدى القرون ، اذهب وانظر ذينك الصحنين وسائر مساجد« ١١ » كربلاء ترهـا مزدانة بافخر مايجود به الحب والدين . فان حيطانها مثلاً مغشاة بالاجر المطلي بالقاشاني الملون بالالوان الزاهية العجيب الصنع حتى انك لتقول: انه لا يمكن للانسان ان يحلم ببناء افخر مما يرى هناك . ففي جوانب الابواب سهوات محكمة البناء بديعة الشكل على هيئة المخاريب، مرصعة بقطع من المرائي تاخذ بمجامع القلوب. وترى الابواب مقوسة اقواساً فائقة الحسن ، تكاد تنطبق على نفسها انطباقاً، وكلها مخرمة، وتخاريمها من الطاباق الغريب القطع والنحت والحفر ، هذا ولا يمكننا ان نغفل عن ذكر العمد الرشيقة القد المتخذة من الخشب الفاخر، وهي تدعم البناء الذي يطوف بالحرم ابدع طواف .

وهل من مذخر احسن من هذا المذخر . وهل لا يكون الاّ دون ما يجدر برفات الامام الذي اصبح لجماعة الشيعة مخلصاً وفادياً ؟

وفي اقصى الحرم مصطبة نفيسة تحتها رمم الامام، والمصطبة بديعة النقش والحفر، عجيبة الصبغ والتلوين، ترى من وراء مشبك من الشبه « ١٢ »

(١١) ليس في كربلاء مساجد يقصدها الشيعة او يتعبدون فيها سوى مسجدي الحسين والعباس واما المساجد العادية فهي موجودة في كل بلد عامر فلا معنى لذكر الكاتب اياها .

(١٢) ليس من الشبه بل من الفضة الناصعة وهو ذو اربعة اركان وفي جانب الطول منه ٥ شبابيك وفي العرض ٤ شبابيك وعرض كل شباك منها ٨٠ سنتيمتراً ويتفرع من وسط الجانب الشرقي منه مشبك صغير من الفضة ايضاً على ضريح ابنه علي الاكبر الذي قتل معه [وهو غير علي زين العابدين او السجاد] وطول مشبك الاب ٥ امتار ونصف متر في عرض ٤ امتار ونصف متر وارتفاعه ٣ امتار ونصف متر وطول مشبك الابن متران و ٦٠ سنتيمتراً في عرض متر و ٤٠ سنتيمتراً وفي اعلى مشبك الحسين ١٦ آنية مستطيلة الشكل كلها من الذهب الابريز وفي كل ركن من المشبكين رمانة

المصمت، يظللها غشاء او ستار هو بساط فريد الصنع، بل تحفة من تحف العالم، حاكته طائفة من مهرة صناع الفرس، ولا يمكن ان يقدر له ثمن لبديع إحكامه، وغرابة اتقانه. فهذا القبر هو غاية ما يرمي اليه الزوار الامامية. فاذا وصلوا كربلاء ودخلوا الحرم يدنون من هذا المشبك الملزز ويتمسكون به بعبادة وتقى، ثم يبسطون ايديهم ويصلون «١٣» صلاة حارة ثم يرجعون الى من حيث اتوا والوجه باش منور من كثرة فرحهم.

ان صحن الحسين وقبره يبقيان في كل زمن قريبي المنال خلافاً لكعبة مكة وزوار كربلاء يكثرون في الشهر المحرم «١٤» وهو الشهر الذي قتل فيه الامام واصحابه ولذا تراهم يتجمعون في تلك المدينة ويتطلبون اليها من كل صوب فتأتي القوافل مئات مئات. وعليه يكون شهر المحرم شهر الصلوات والادعية والتوبة. «١٥»

فاذا جئت انت في ذلك الاوان ترى افنية الصحون ولا سيما فناء صحن

من الذهب يبلغ طولها قراب نصف متر. وسماء ذلك الحرم مغشاة بالمرأة المسماة عند اهل بغداد بلفظ تركي (عاينه) على شكل لا يقدر ان يصفه واصفه.

(١٣) والاصح يدعون لان الصلوة عند المسلمين غير الدعاء. والصلوة عندنا تكون في قيام وقعود وركوع وسجود بخلاف ذلك عند النصارى فانهم يطلقون اسم الصلوة على مجرد الدعاء.

(١٤) اكثر ما يجتمع الزوار في كربلاء في زيارة (عرفة) وهي في اليوم الذي يقف المسلمون على جبل عرفة في الحج، ذلك في ٩ من شهر ذي الحجة ولذلك اليوم في كربلاء خطبة او زيارة مخصوصة اولها : « الله اكبر ... السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله الخ » راجع مفتاح الجنان من ص ٣٦٩ — ٣٧٤

(١٥) شهر الصلوة والادعية والتوبة شهر رمضان.

الحسين غاصاً بالمومنين،الان من اول فرائض «١٤» الزوار في كربلاء كما في مكة ان يذهبوا الى الحرم بعد الوضوء .

وبعد ان يصلوا صلاةً اولى في فناء الصحن «١٥» يكونون اهلاً لان يدخلوه امنين فيزدحمون فيه ازدحامهم على السعادة القصوى بهلاهل واصوات الفرح العظيمة وعلى رؤوسهم «١٦» العمائم البيضاء اشارة الى بياض قلوبهم. اما الحجاج الذين حجوا مكة والسادة الذين ينتمون الى اهل البيت فانهم يعتمون بالاخضر. وفي اغلب الاحايين تكون نساؤهم معهم . وقد تحجبن اشد الحجاب « ١٧ » من قمة الراس الى اخمص الرجل .

«١٤» ليس ذلك من فرائض الزوار بل هو عمل مستحب مخير المرء في تركه وعمله. بخلاف مكة لان الاعمال فيها تعد فرضا واجبا ويعاقب الله تاركها .

«١٥» ليس في فناء الصحن صلوة ولا دعاء كما يزعم الكاتب. بل الدعاء في باب الرواق الذي هو دون الحرم وله دعاء مخصوص اوله:(الله اكبر الخ) ثم بعد تلاوة هذا الدعاء يدخل الرواق حتى اذا دنا من باب الحرم قرأ دعاء مخصوصاً ايضا اوله (السلام عليك يا ابا عبد الله الخ) راجع مفتاح الجنان ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

«١٦» ليس من ذلك شيء بل يدخلون على اختلاف ازيائهم كل على حسب عادته ولباسه الحقيقي .

« ١٧ » اما نساء الاعراب فلا يحجبن البتة. ولو رأيت كيف يزور الاعراب يوم الزيارة لقضيت منهم عجبا:فانهم يدخلون الحرم بحمس وشدة بأس بدون اذن ولا دعاء ويطوفون حول الشباك وقد مسك واحدهم بمنطقة الآخر فيكونون عند ذلك كالحلقة المستديرة التي لايعرف طرفاها. وفي حالة وحشية ولهم ضجة وعويل. وغاية قصدهم ألم الشباك لانهم يعتقدون ان الذي لم يوفق للم الشباك غير زائر وليست زيارته مقبولة ولذا ترى اهل المدن اللطيفي الابدان لايقدرون على ان يدنوا من الشباك في ذلك اليوم لتزاحم هؤلاء الاعراب ودفع بعضهم بعضاً .

وهم يحترمون العباس اكثر من اخيه الحسين وذلك خوفا لادينا لانهم يعتقدون ان الذي يستخف بحرمته ينتقم منه في ساعته وربما قتله في مكانه ويقولون ان العباس سريع الغضب . ويلقبه بعضهم:بأبي الرأس الحار:ومعناه:ان الزاج سريع الغضب. والحسين امام معصوم حليم حق عليه ان يعفو .

من معتقد المسلمين ان المومن الذي يتمكن من ان يدفن في جوار مزار مدفون فيه احد الائمة اونسيب من انسباء اهل البيت اوواحد من الصحابة، فان دخوله الجنة مضمون ويكون على الرحب والسعة. ولهذا السبب ترى في مسجد ايوب في الاستانة امتداد تلك المقبرة التي تبتدئ من الوادي حتى تتوغل التلال حيث تنتهي فيها. وترى بين تلك القبور العديدة غابة غبياء من السرو الاسود. وهكذا جرى الامر في كربلاء. فانك ترى المومنين في اقصى بلاد آسية يوجهون ادعيتهم الى الله لينعم عليهم ان يدفنوا بعد موتهم في جوار قبر الحسين ١٨٠ لينالوا شيئاً من الاء

ومن لطيف ما رأيته انا من احدهم في حرم العباس مرة هو انه كان لرجل اصحاب فتأخر عنهم في الطواف لكثرة الازدحام ثم لما علم ان صحبه مضوا وتركوه لحقهم راكضاً من دون توديع الامام ولا تسليم عليه وفي اثناء ركضه عثر بعتبة باب الحرم فتألم فالتفت الى الامام قائلا له بهذا اللفظ (يهجم): بفتح الياء مع الهاء وكسر الجيم وسكون الميم: ومعناه تهدم بناؤك ومحى اثرك. وهو لم يتصور انه يخاطب العباس فلما فطن بذلك بعد هنيهة على زجر احد خدم الامام له. اعترف بذنبه وكر راجعاً مستأنف العمل، ومعتذراً من العباس. واخذ يخاطبه بهذا الخطاب (يابعد ابي وبوي يابعد رويحتي ماعرفتك ايش.) معناه يابعد ابي وابي وروحي اعفُ عني لاني تكلمت بما تكلمت عن دون قصد ورويةولم ادر اني في حضرتك ثم لحق صحبه راكضاً ايضا.

١٨٠ اغلب الدفن يكون في جوار قبر علي بن ابي طالب (ع) (اي في النجف) حتى من كربلا نفسها ولا تكاد ترى واحداً يدفن في كربلاء من عشرة آلاف يدفنون في ارض النجف ولذا تمتد ليوم مقبرة النجف واسمها وادي السلام الى مسافة يبلغ محيطها فوق ساعة ونصف ساعة وليس في مقبرة كربلاء الا مايقرب من الف قبر. واذا نظرت من كبد البر الى مقبرة النجف وانت متجه اليها تظنها لاول نظرة بلداً آخر وذلك لما فيها من بناء القبب والبيوت على قبور المترين واذا سرحت الطرف بين تلك القبور الشبيهة بالقصور ورددت النظر مرة بعد اخرى لاتشك فيها بانها مراقد لاولياء الله اولائمة المسلمين لما هناك من الابنية المغشاة بالقاشاني الملون البديع الصنع وفي اكثر تلك القبور مواضع للصلوة وفي ساحاتها حدائق غناء وسقاية ورجال موظفون من قبل

امامنه التي يجود بها على المخلصين له. وبالجملة فان كربلاء اصبحت اليوم مدفناً عاماً لجميع ابناء الشيعة المبثوثين في ديار الله كلها جمعاء.

ولولا ان الحكومة العثمانية تتدارك الامر لاصبحت اليوم هذه المدينة مباءة الامراض الوافدة، ومنبعث جراثيم الادواء الوبيلة، لان الجعفرية ينقلون الى هذه المدينة جميع الموتى ويجوسون بها الديار الملوثة بالاوبئة اوغير الملوثة. هذا فضلا عن ان بين هؤلاء الموتى من توفوا بامراض معدية اشد العدوى. فتراكم تلك الجثث في ارض واحدة، وفي موطن واحد من شانه ان يجعل تلك البقعة من الارض منبت الوباء، ومنبعث الطاعون، ومنتشر الهيضة على الدوام. ولقد عقد من تهمهم الصحة العمومية لجاناً عديدة لصد هجمات جيوش تلك الادواء السارية السريعة العدوى الشديدة الفتك واخذت مافي مكنتها من الوسائل لتثبيط فشو العدوى فضربت رسماً هو ٥٠ فرنكاً «١٩» على كل جثة تدخل كربلاء. ولو امكنها لمنعت الدفن بناتاً، لكنها تحترم عقائد الشيعة الوثيقة العرى، اوتخاف ان تثور ثائرة الفتنة والتعصب فيقوم بوجهها مالم يرم بخلدها. «٢٠»

ذريه المقبور اواقاربه الوارثين له اومن وقف وقفه المقبور نفسه عليه قبل موته وهم يخدمون ذلك المحل ويحملون الماء اليه ويتلون القرآن على تلك القبور التي في ذلك البيت لان البيت الواحد ليس مخصوصا بقبر واحد بل بعشيرة الاقربين من المقبور الاول وبين تلك القبب قبة مبنية على مزارى نبي الله هود وصالح (ع) لايكاد يعرفها الرجل الابدليل يدله عليها لحقارة بنائها، ولما عليها من الغبار. وهي واقعة على بعد ٥٠٠ متر من سور البلد الى الشمال.

«١٩» ٥٠ قرشا ساغاً (صحيحة) وقد رفعت هذه الضريبة عن شيعة الدولة العثمانية وذلك من مدة سنة.

«٢٠» قد منعت الحكومة النقل من الامكنة التي تبعد عن كربلاء والنجف وغيرها من المشاهد غير مرة سيما في ايام الاوبئة ولم يحدث ادنى حادث من الشيعة.

البتة. وهذا الرسم رسم الدفن يثمر للحكومة المحلية مبالغ طائلة ويمنع الفقراء (٢١) من ان يفكروا بان يدفنوا موتاهم في هذه البقعة الميمونة. اما الاغنياء الذين ورثوا الميت، فان الاموال الطائلة التي وقعت اليهم بعد وفاته تحث الوارث الى ان يسرع في دفن جثة ذاك الذي جاد عليه بتلك المبالغ الجسيمة وحينئذٍ لا يستعظم اي مصرفٍ ينفقه في وجه هذا العمل المبرور الملزوم به. وهكذا تنقل جثث اولئك الموتى من اقصى ديار اسية الى هذه الديار المجاورة لنهر الفرات المشهور في التاريخ.

فالدفنات الحافلة الشائقة كثيرة الوقوع اذاً في كربلاء. (٢٢) ولقد شهد صاحب هذه المقالة موكب دفن واحد من هنود الشيعة وائمة علمائهم الفحول، وكان قد نقل الى كربلاء بمبالغ باهظة من الاصفر الرنان. ولما دخل المدينة تابوت هذا الرجل الكبير قامت له كربلاء كلها وذهب لاستقبال جثته عشرة الاف شخص (٢٣) وكان اهل البلدة قد ركزوا اعلاماً ورايات مختلفة إعظاماً للمصيبة. وكان الجمع يقف بجثته على كل خطوة يخطوها ليتلو الادعية او يسمعها. وطافوا بها حول الاسوار ودام الطواف ثلاث ساعات قبل ان يبلغوا الصحن وهذا المتوفى الذي جاء من بعيد ليسند راسه الاسناد الاخير في كربلاء فاز بانعام سام وهو انه دفن في صحن الامام الحسين وبقي القراء يقرأون على قبره بالتناوب ليل نهار مدة شهر.

وقياماً بتأدية حقوق الحقيقة نقول: ان المومنين القلبلي التوفيق في

(٢١) لامانع للفقراء عنه البتة. (٢٢) في النجف. (٢٣) فيه مبالغة.

هذه الدنيا وجدوا لهم طريقاً يتكبون به عن القانون الذي سن للموتى فلا يحتاجون الى ان يؤدوا ماعليهم من رسوم المكس . وهذا الطريق لا يستحسنه علماء الصحة ولا يوافقون عليه . لكن لا يمكن للموظفين ان يشددوا فيه ويعسفوا خوفاً من ان يؤدي بهم هذا التشديد الى مالا تحمد «٢٤» عقباه فماذا فعل اهل العوز المتدينون الذين لا تمكنهم حالهم من تادية ماحتم على الدفن ؟ — انهم لجأوا الى وسائل تخفي جثة الميت على الموظفين بجباية المكس . فتارة يقطعون الميت اربا اربا وطوراً يطحنون عظامه حتى تغدو كالدقيق «٢٥» واخرى يجعلون تلك الاعضاء تحت ثيابهم التي يتسترون بها من الداخل . وبالجملة يستعملون وسائل لا تخطر على بال بشر ليتوصلوا الى ان يخلطوا رمم الميت بالرمال التي تسفيها ارياح كربلاء «٢٦» حتى يقال عنه انه احصي بين موتى تلك المدينة الحسينية .

«البقية تاتي»

﴿ سوق الشيوخ ﴾

Note historique et géographique sur Souq - ech - Chioukh.

١ . موقع هذه المدينة وحدودها

قضاء سوق الشيوخ من مدن العراق الحديثة واقع على ضفة الفرات اليمنى قريباً من الدرجة ٣٠ عرضاً ونحو الدرجة ٤٤ طولاً من باريس وهو في جنوبي لواء المنتفق . — يحده شمالاً وشرقاً الفرات . وجنوباً وغرباً الصحراء الشامية وهو يبعد ٤٠ كيلو متراً عن الناصرية وهو تحتها

«٢٤» لو ارادوا لفعلوا . «٢٥» كذب صراح لانا لم نشاهد ولم نسمع برجل طحن عظام ميته . وكذلك من العراقيين من اهل النجف وكربلاء نفسيهما .

«٢٦» اعلم ان كل ماجاء في المقالة من اسم كربلاء في ما يتعلق بالدفن فصحيحه في النجف .